الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

صاحبك من بختك

هذا مثل مصرى ، وهو يمثل متاعبنا فى الحياة أصدق تمثيل ، فما نشكو فى حياتنا غير قلة الصاحب وانعدام الصديق

وأخطر ما يؤذينى فى حياتى هو الشعور بأنى لا أجد روحاً يجاوب روحى ، وأنا لا أتهم أحداً بالغدر ، فما خلق الله روحاً يقدر على مجاوبة روحى

أنا أعيش بلا صاحب وبلا صديق ، لأنى رجل ليس له بخت ، ولأنى رجل أغناه الله عن البخت ، فليشبع أصدقائى بما عندهم من أطايب البخوت !

أنا أجود بالصداقة ولا أنتظر أى جزاء ، لأن جودى فوق الجزاء .

وسيبكى ناس على أنفسهم إن فقدونى ، ولن يفقدونى ، فما تطيب نفسى بالصدوف عمن رضيت صحبتهم لحظةً من زمان

لن يقول أحدٌ إنه طوّق عنق بجميل ، فأنا دائماً صاحب الجميل .

كما ذكرنا أمة واحدة فرقتها سياسة العصور المظلمة ، والأطماع الغاشمة ؛ أفلا يجدر بنا أن نتعظ ونعتبر ونسير بخطى حثيثة نحو الوحدة أو الاتحاد رائدنا الإخلاص لأنفسنا ولأولادنا

هذا أمل نرجو ألا تعصف به زعازع السياسة ، وأن يبقى عليه كبار الساسة ، أو يتعهدوه بالرّى والنماء حتى يؤتى ثمره حلواً جنياً . (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وهو ولى التوفيق .

عمر الدسوقى

تباركتَ وتعاليت ، يا فاطر الأرض والسماء ، فقد أغنيتنى عن مجاملة الصاحب ، وملاطفة الصديق

فى لحظة من لحظات الضيق دعوتك فقلت : « اللهم لا تحوجنى إلى أحد من خلقك »

وقد استجبت لدعائى ، فلم تحوجنى إلى أحد من خلقك

وأنا بعد هذا أشكر لك نعمة لم تجُد بها على أحد من خلقك ، إلا أن يكون فى مثل إيمانى بك ، وأدبى معك ، وهى نعمة الصفح عن الصديق الكافر بالجميل

إن قدرتك على خلق البرية بما فيها من أنهار وبحار وجبال ونجوم وكواكب ، إلى آخر ما تعلم وأجهل ، لا تقاس إلى قدرتك على إغنائى عن خلقك

علّمنى كيف أثنى عليك ، فقد عجزت عن الثناء عليك .

ثلاثون سنة ، ثلاثون ، ثلاثون ، وأنا أحارب الناس ، ولم يهزمونى ، لأنهم جهلوا سر قوتى ، وأنا أعتز بك ، وصاحبك من بختك ، وأنت يا إلهى صاحبى وبختى ، ولم يبق إلا أن أرجوك أن تعلمنى كيف أثنى عليك

خرجات النفر الأدبى

تمرّست بالصحافة السياسية والأدبية عدداً من السنين ، ولم أشعر بحرج يماثل الحرج الذى عانيته فى الأسبوع الماضى ، ولكن كيف ؟

كنت أعددت مقالاً لمجلة الرسالة أصاول به بعض المتجنين علينا من أدباء لبنان

ثم تَسلسَل الهتّاف بما معناه : « إن صاحب الدولة رياض بك الصلح أمر بأن لا يُكتب حرف فى صحيفة لبنانية تجنياً على الأدباء المصريين »

وكان فى مقدورى أن أتجاهل هذه الإشارة التليفونية ، وأن أقدم إلى مجلة « الرسالة » مقالى ، وأستريح من تحبير مقال جديد

ولكن الرقيب الأعظم نهى ، وهو ضميرى ، فطويت مقالى ، وكتبت لمجلة الرسالة حديثاً غير ذلك الحديث ، فى لحظة عرجة لم أكن أستطيع فيها كتابة أى حديث

وأنا أعتذر عما جرى به قلمى فى مصاولة أدباء لبنان ، وأتمنى لهم مثل الذى أتمنى لنفسى ، وهو تصويب النظر إلى استكشاف محاسن الصديق

ثم أرجوهم أن يذكروا أننا نعانى محنة قاسية فى حياتنا الأدبية ، فالكاتب اللبنانى يستطيع الظهور بمقالة أو مقالتين ، والشاعر اللبنانى يستطيع الظهور بقصيدة أو قصيدتين ، ولا كذلك الكاتب المصرى أو الشاعر المصرى ، فبلادنا لا تسمح بالظهور لكاتب أو شاعر إلا بعد أن يشق بالنثر والنظم عشرين سنة أو تزيد

الفرق بين متاعبنا ومتاعبكم هو الفرق بين متاعب القاهرة ومتاعب بيروت

نحن فى حياتنا الأدبية نشق شقاء لا يخطر لكم فى بال ، ولهذا ننتظر عطفكم علينا ، ونرجو أن تترفقوا بنا ترفق الصديق بالصديق .

وزعامة مصر الأدبية عبء ألقاه القدر علينا ، ولولا الحياء لفررنا من حمل ذلك العبء الثقيل

أكرمونا بعطفكم ، أكرمونا ، لنصبر على حمل الراية فى ذلك الميدان

إلى معالى الوزير لى باشا

إنك تذكر أيها — الوزير الجليل — أنى تجشمت السفر إلى الإسكندرية فى الصيف الماضى ويدى مذكرة أزكى بها إنشاء مدرسة ابتدائية فى سنتريس ينتفع بها عشرون بلداً هناك ، وتذكر أنى أخبرتك منذ أسبوع بما انتهت إليه تحريات مراقبة التعليم الابتدائى ففرحت وقلت : سأمضى لافتتاح هذه المدرسة بنفسى فى مطلع العام الدراسى المقبل .

ومع أنى واثق بأنك ستنجز وعدك ، وبأنى أستطيع أن أستهديك ما أريد لخير تلك البلاد العشرين ، فقد جدت حالة توجب أن أسارع برفع ما يعترض هذا المشروع من العقبات . والله بالتوفيق كفيل

كانت ميزانية المعارف للعام المقبل تتضمن إنشاء خمس مدارس ابتدائية ، وبهذا كان الأمل قوياً فى إنشاء مدرسة سنتريس ، ثم سمعت أن الوزارة عدلت الميزانية فاكتفت بإنشاء ثلاث مدارس ، وخفت أن تؤجل مدرسة سنتريس ، وإنما كان الخوف لأن الوزير نفسه حدثنى أنه سينشئ مدرسة فى الدرب الأحمر ومدرسة فى بولاق ، فهل تكون المدرسة الثالثة هى مدرسة سنتريس ؟ ليت ثم ليت !

أنا أرجو معالى الوزير أن يتذكر أن القاهرة تنتهب حقوق الأقاليم ، ثم أرجوه أن يضع حداً لهذا الانتهاب ، فما يجوز أن تأخذ القاهرة أكثر مما أخذت ، ولا يجوز أن ننسى أن مواصلات القاهرة تعين القاهريين على الوصول إلى المدارس بأمان ، ولو كانوا من أهل الدرب الأحمر أو بولاق ، ولا كذلك الحال فى الأقاليم ، فالمواصلات هنالك فى غاية من الصعوبة ، ولا يتيسر الانتقال إلا مع التعب العنيف

قد يقال إن نائب بولاق يراعى أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وإن نائب الدرب الأحمر يراعى أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وأنا لا أعترض على مساعى هذين النائبين ، فمن واجب كل نائب أن يقدم لأهل دائرته أقصى ما يستطيع من الخدمات

وهنا تظهر خطورة هذه القضية : فقد مضت عشرون سنة وسنتريس مسرح للحفلات الانتخابية ، وكان كل مرشح يعيننا بأنه سينشئ فى سنتريس مدرسة ابتدائية ، ثم ينفض السامر وتذهب تلك الأمانى !

لم يبق إلا أن استهدى عطف وزير المعارف على عشرين بلداً هى أخصب بلاد المنوفية ، ففى سنتريس وحدها أكثر من ثلاثين شهادة عالية ، وموقع سنتريس الجغرافى أجمل من موقع